JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ
العدد العشرون
(١١) -(٢٥)

إشكالية الهوية الأنثوية في رواية (قسمت) لحوراء النداوي
دراسة ثقافية

م.د حسام محمد ديوان
كلية الإمام الكاظم (ع) للعلوم الإسلامية الجامعة/ أقسام واسط
husam.mohamed@alkadhum-col.edu.iq

المستخلص :

يشكل سؤال الهوية في رواية **(قسمت)** المحور الرئيس فيها، إذ ترصد الرواية حياة أقلّية عِرقية في المجتمع العراقي، وهم **(الكرد الفيليون)**، قبل وبعد الحرب العراقية الإيرانية، وما تعرضوا له من ظروف تهجير مُورست بحقهم منذ عام ١٩٧٥م، واشتدادها بعد ذلك في بداية الحرب، وما خلّفته من تداعيات في انتماء هذه الأقلية، وهو ما يتمظهر في قول الراوي عن **(غلام علي)** جد الأسرة الفيلية: **(نصف عراقي ونصف إيراني)**، ما يعني تمزق هوية الكرد الفيليين بين ثقافتين مختلفتين، ووقوعهما تحت التأثير السياسي لقرارات البلدين (العراق وإيران) تجاه هذه الأقلية. لكن الذي يريد البحث أن يسلط الضوء عليه هو منطقة أخرى ليست بتلك الوضوح، وهي تتعلق بالهوية الأنثوية، إذ تتضاعف إشكالية هذه الهوية لأنها تأخذ بعدا أعمق يتمثل بخصوصية المرأة الكردية الفيلية، فهي تعيش في الرواية أزمة هوية على الصعيدين العام والخاص، فأما على الصعيد العام فهو ما تشترك فيه مع شخصيات الرواية في إشكالية الانتماء، وأما على الصعيد الخاص فهو يتعلق بها كذات (امرأة/ انثى) في اختلافها عن (الرجل)، وما يستتبع ذلك من نظرة المجتمع للمرأة والأنوثة، وما رسمته الرواية ذاتها من صورة للمرأة الكردية الفيلية.

الكلمات المفتاحية: الهوية ، الرواية، الثقافة.

The problem of female identity in the novel Kismat by Hawraa al-Nidawi Cultural study

Hussam Mohammed Diwan

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

Imam Al-Kadhim University College of Islamic Science / Wasit
Departments
husam.mohamed@alkadhum-col.edu.iq

Abstract :

The question of the identity in the novel (kismat) constitutes the main axis in it. The novel studies the life of an ethnic minority in the Iraqi society who are (Faili Kurdish) before and after the Iranian _Iraqi war . And what they were subjected to the conditions of the displacement practised against them since 1975 A.D and it's intensification the beginning of the war . And the repercussions that it left in the belonging to the this minority which is related to what is the narrator saying about (Ghulam Ali) who is the grandfather of the Faili family (half Iraqi and half Iranian) that it means that the identity of the Faili Kurdish is influenced between two different cultures and affected by the political influence of the decisions of the two countries towards this minority.

However this research wants to explain to another topic that it is not clear and it is related to the female identity that the problem of this identity increases because it takes to a larger dimension that represented by the specificity of the Faili Kurdish woman . She has a crisis in the novel about it's identity in the public and private levels. The general level that what is shared with the characters of the novel about the problem of the belonging. On the private level is related to her as self (a woman, female) in it's difference from (man) and what is followed by the view of the society of woman and femininity and what is the novel itself depicted in terms of the image to the Faili Kurdish woman.

Keywords: identity, novel, culture .

المقدمة:

لقد شكّل سؤال الهوية أحد شواغل الرواية العراقية المعاصرة، ربما لأن هذا السؤال بات يمثل هاجسا شاغلا للفرد العراقي بعد عام ٢٠٠٣؛ بسبب ما مرّ به من ظروف كثيرة وكبيرة تمثلت بالاحتلال والاقتتال الطائفي وما استتبع ذلك من شرخ مجتمعي، جعل هذا السؤال يُعاد ويُكرّر، وعلى ضوئه تُعاد صياغة الهوية في كل مرّة، وتتغيّر معه تراتبية الهويات، كأن تتقدم الهوية الدينية على

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

غيرها من الهويات مثلا، وبما أن الرواية العراقية كانت ومنذ نشأتها تمثل مرآةً للتحولات السياسية والاجتماعية والثقافية، لذا فقد تعرضت لسؤال الهوية وباتت تحفر في تشكّله وإشكالياته في بعديه الفردي (الذاتي) والجماعي. ورواية (**قِسمت**) للروائية العراقية (**حوراء النداوي**) واحدة من النصوص الروائية التي بحثت في ميدان الهوية، وفي خصوصية الهوية الكردية الفيلية، إذ ترصد الرواية حياة أقلّية عِرقية في المجتمع العراقي، وهم (**الكرد الفيليون**)، قبل وبعد الحرب العراقية الإيرانية، وما تعرضوا له من ظروف تهجير مُورست بحقهم، وما خلّفته من تداعيات في انتماء هذه الأقلية.

والبحث يسلط الضوء على جزء من ميدان هذه الرواية، وهو (**الهوية الأنثوية**)؛ لأن هذه الجزئية من الرواية تأخذ بعدا أعمق يتمثل بخصوصية المرأة الكردية الفيلية، فهي تعيش في الرواية أزمة هوية على المستويين العام والخاص، فأما على المستوى العام فهو ما تشترك فيه مع شخصيات الرواية في إشكالية انتماء هذه الأقلية ، وأما على المستوى الخاص فهو يتعلق بها كذات (امرأة/ انثى) في اختلافها وعلاقتها مع الآخر (الرجل)، وما قد يسببه هذا الاختلاف والعلاقة من إشكالية في الهوية، لذلك ركّز البحث على نقاط مهمة في الرواية، الأولى تمثلت بالهوية الجندرية وما سببته من إشكالية في الهوية، والثانية تمثلت بالآخر ودوره في التباس الهوية الأنثوية، والثالثة تمثلت بالتباس الهوية بين الحضور والغياب.

لقد "أصبح مفهوم الهوية مقولة مركزية داخل الدراسات الثقافية خلال فترة التسعينات، وهي مفهوم يتعلق بالأوصاف الثقافية للأشخاص التي نُعَرّف من خلالها بشكل وجداني، كما تهتم بالمماثلة والمغاير، أما بالنسبة للدراسات الثقافية فتعد الهوية إنشاء ثقافيا لأن المصادر الخطابية التي تكوّن مادة الهوية تُعَد مصادر ثقافية بطبعها" (باركر، ٢٠١٨، صفحة ٣١٨)، لذلك كان من المناسب أن يكون منهج الدراسة يعتمد على آليات الثقافة التي تدرس السياقات الثقافية التي تكوّن هوية الأفراد والجماعات.

مفهوم الهوية:

مفهوم الهوية من المفاهيم التي قد لا تتوضح من دون الاتكاء على مفهوم آخر يمثل الجانب الآخر منه، (تشبيها بالعملة نقدية)، وهو مفهوم الاختلاف، فمن دون اختلاف لا يمكن أن تبرز الهوية والخصوصية، ومن دون هوية تَجمع التماثل لا يتميز الاختلاف، فالهوية تعميق أو امتداد لثنائية: (الذات/ الآخر)، "وكأن الآخر فردا كان أو جماعة هو المرآة التي تستشعر فيها الذات الفردية أو الجماعية نفسها وهويتها شعورا واعيا" (سبيلا، ٢٠٠٩، صفحة ١٥٨)، ووفقا لذلك يكون الآخر هو

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

معيار الذات، كما يكون الاختلاف هو معيار الهوية. ولأن الاختلاف يمثل الجانب الغائب، إذ هو ليس بنية أصلية ويعتمد في تعريفه على الهوية التي تمثل الحضور (بوزة، ٢٠١٦، الصفحات ٣٥-٣٧)، فإن مفهوم الهوية يبقى عائما، مادام يعتمد على جانب يتوقف أصلا على توضيح مفهوم الهوية، بالإضافة إلى ذلك فإن "الهوية من المفاهيم التي تتأبّى عن التحديد لاختلافيتها وائتلافيتها بين حقول معرفية كثيرة (فلسفية، اجتماعية، نفسية، أنثروبولوجية، سيميائية...) فهي واقعة دائما في مفترق الصراعات المفاهيمية... فهي ساكنة بين: المشابهة/ المغايرة، الفردي/ الجماعي، الوحدة/ الكثرة، الذات/ الموضوعية...ولهذا كثرت تعاريفها" (بلعابد، ٢٠١٤، صفحة ٤٨).

إن ما تقدم ليس هروبا من تعريف الهوية بقدر ما هو بيان ما في مفهوم الهوية من إشكال، فالمفهوم بحد ذاته مشكل، وهذا لا يعفي البحث من تتبع المفهوم والخوض في تنظيراته بغية توضيح شيء منه، على أن توضيح التباسه وإشكاليته مثلما تقدم هو أيضا توضيح له بمعنى من المعاني.

والهوية تطلق على "الخصوصيات التي تميز فردا عن غيره، أو جماعة عن غيرها، وتمثل انعكاسا لواقع ما ولتصورات معينة" (الخليل، ٢٠١٦، صفحة ٣١٥). وترتبط الهوية بالثقافة؛ لأن "الثقافة هي حامل خصوصيتها، والوعاء الذي يستوعب فلسفتها وأهدافها، لذا يصعب الحديث عن الهوية بمعزل عن الثقافة" (بوزة، ٢٠١٦، صفحة ٣٠). وإذا كانت الهوية تتضمن طريقة حياة وممارسات وعادات ووضعيات معينة ومرجعيات مختلفة فإنها ستكون عرضة للتحولات التي تعيد تشكيلها وتركيبها بصفة دائمة (عماد، ٢٠١٩، صفحة ١٠).

وتتحدد وظيفة الهوية بكونها "حماية للذات الفردية والجماعية من عوامل الذوبان" (الخليل، ٢٠١٦، صفحة ٣١٧). وفي المقابل تسعى الذات الفردية والجماعية للمحافظة على الهوية هي أيضا، فهي حماية متبادلة، حتى ولو لم يكن الفرد مسؤولا عن اختيارها (اللون، الدين، اللغة، الطبقة الاجتماعية ...)، بل كانت وليدة البيئة الاجتماعية التي وُلد ونَشأ فيها، وفَرضتْ عليه نوع الانتماء، فإنه سيقاتل من أجلها إذا ما تعرضت للتجريح أو الخطر (معلوف، ٢٠١١، الصفحات ٣٧- ٤٢). وكجزء من حماية الهوية فإن الجماعات تتجه إلى تكوين (سردية تاريخية للهوية) ينبني قسمها الأعظم (السردية التاريخية) على روايات مصنوعة ومتخيلة في سبيل ضرب هالة من القوة والرمزية حول الهوية لتكون بمثابة المقدس الذي لا يمكن المساس به (عماد، ٢٠١٩، صفحة ١١).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

شخصيات حاضرة وهويات غائبة:

تعدّ الهوية "ظاهرة نفسية اجتماعية" (الخليل، ٢٠١٦، صفحة ٣١٥)، فلا يستطيع الفرد أو الجماعة ألاّ ينتمي إلى هوية معينة تميزه وتميزهم، وتحافظ عليه وتحافظ عليهم، ويحدث أن يتم تقبّل الهوية والانتماء بإرادة واختيار، حتى تلك الهويات التي لم يكن الفرد مسؤولا عن اختيارها، بل كانت وليدة الظرف الاجتماعي. ومعنى ذلك أن عنصر (التقبّل) يساهم بشكل فعّال في تثبيت الهوية وتحديدها، وأن أي فرض (سلطة) من خارج الفرد أو الجماعة يعارض (التقبّل) يساهم في إشكاليتها، فتلتبس علاقة الذات بالجماعة، وعلاقة الجماعة بالعَالم، إذ "يتحدد موقع الهوية، وإلى حدّ بعيد، بأثر السُلطات الفاعلة في ضمن الحيّز الاجتماعي، ويلتبس كلما احتدمت صراعات السلطات في ذلك الحيّز" (رحيم، ٢٠١٤، صفحة ١١).

لقد كان احتدام السلطة الفاعلة سببا رئيسا في إشكالية الهوية لدى شخصيات رواية **(قسمت)**، فقد سعى **(شاه إيران)** سابقا إلى "**طمس هويتهم الكردية وتفريسهم**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٧١)، ويعاملهم الإيرانيون على أنهم عرب، واتهمهم **(نظام البعث)** بالتبعية الإيرانية وقام بتسفيرهم إلى خارج حدود العراق، ما يعني وقوع هذه الأقلية تحت التأثير السياسي لقرارات البلدين، ومحاولة فرض هوية معينة عليهم: "**اسمي لؤي. يعني بالعراق اسمي لؤي بس من سفروني لإيران صار اسمي أميد. ثنينهم اسمي**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ١٨٤).

لقد عانت شخصيات الرواية جميعها بصورة عامة من تشتت الهوية، فقد كانت علاقتهم في إيران والعراق مع الآخر موضع التباس، وهو ما انعكس على الشخصيات الأنثوية أيضا فقد عانت هي الأخرى من سياسة البلدين فكانت تشترك مع باقي الشخصيات في هذا التشتت الهوياتي، غير أن لها شأنا آخر فقد عانت من التباس الهوية على نحو خاص، بعيدا عن العامل السياسي، بل كان له علاقة بالآخر (الرجل/ المجتمع)، فأظهرت قلقلا تجاه الهوية تمثل في أدوارها في المجتمع (الجندر)، وعلاقتها بالآخر (الحبيب)، وارتهان هويتها به، والتباسا في الهوية بين الحضور والغياب.

الهوية الجندرية:

الجندر (gender) من الموضوعات التي أثارتها الحركات النسوية؛ في سبيل تغيير النظرة المجتمعية حول دور كل من الرجل والمرأة وإرساء قواعد المساوات بينهما. "ويشير مفهوم الجندر إلى المسلمات والممارسات الثقافية التي تحكم البناء الاجتماعي للرجل والمرأة وعلاقتهما الاجتماعية، ويستمد المفهوم كثيرا من خلال تعارضه مع مفهوم الجنس sex الذي يعد تكوينا بيولوجيا للجسد"

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

(باركر، ٢٠١٨، صفحة ١٦٦)، وهذا يعني أن صفات الرجل والمرأة يتم انشاؤها مجتمعيا وليس بيولوجيا، فالمجتمع هو الذي يحدد دور ومسؤولية كل من الرجل والمرأة، وهو الذي يحدد الصورة النمطية الخاصة بهما، إذ الفرد يولد ذكرا أو أنثى، لكنه يصبح بعد التنشئة الأسرية والاجتماعية رجلا أو امرأة (العمر، ٢٠١٥، صفحة ٤٥). وغالبا ما تكون هذه (الصناعة الاجتماعية) نسبية، فهي متغيّرة في الزمان والمكان، بحسب الثقافات، إذ أن " الأساليب والطرق الدقيقة التي تعبر بها النساء عن أنوثتهن، ويعبر بها الرجال عن ذكورتهم تختلف من ثقافة إلى أخرى" (سيدجويك، ٢٠١٤، صفحة ٦٩٨). إن المجتمع بطبيعته هو الذي يحدد هوية كل من الرجل والمرأة، وغالبا ما تمّ تحديد هذه الهوية في المجتمعات الأبوية وفقا للهوية البايولوجية، وبالتالي تأتي هوية كل من الرجل والمرأة بشكل تراتبي، فتحتل المرأة مرتبة أدنى من الرجل، ويكون لها دور مفروض عليها من الرجل نفسه، لدرجة أنها تتماهى مع هذا الدور لصالح النظام الأبوي (العمر، ٢٠١٥، صفحة ٦٤).

إن وظيفة التنشئة الاجتماعية تجاه الرجل والمرأة هي رسم هوية وصورة مجتمعية مسبقة لكلّ منهما، وما توافق مع هذه الصورة يُعدّ محددَ الهوية، أما إذا اختلف عنها فيُعد ملتبسَ الهوية، إذ "النوع بالمعنى الجندري يثير إلتباسا حادا؛ لأن خصائص الذكورة والأنوثة ترتبط بالمعطيات الاجتماعية والثقافية لتحديد هذا النوع أو ذاك، أي بردهم إلى كونهم ذكر/ أنثى... وعند ذلك يبزغ سؤال الهوية" (هاتو، ٢٠١٣، صفحة ٣٢٤) وقد حفل نص رواية **(قسمت)** بشخصيات شكّلت التباسا واضحا في هويتها الجندرية، إذ كانت تختلف عمّا كانت عليه أدوار الرجل والمرأة في المجتمع الروائي الذي نشأت فيه، لذلك شكّلت علامات فارقة بينها وبين شخصيات الرواية الأخرى، وقد تمثل ذلك في شخصية كل من **(نازارة)** وشخصية **(بركة)**، فقد حفلت الشخصية الأولى بأدوار وصفات الرجل على الرغم من كونها انثى، في حين حفلت الثانية بأدوار وصفات المرأة على الرغم من كونها ذكرا. وقد كان التباس الهوية الجندرية لهاتين الشخصيتين جزءا من تأسيسهما على نحو عجائبي في الرواية، والشخصية العجائبية هي الشخصية "التي تلعب دورا في مجرى الحكي، والمفارق لما هو موجود في التجربة... وعجائبيتها تكمن في تكوينها الذاتي وطريقة تشكيلها المخالف لما هو مألوف" (يقطين، ١٩٩٧، صفحة ٩٩). إذ كانت عجائبية **(نازارة)** تتمثل في بعض الأفعال التي لم تكن لتصدر من شخصية عادية، من ذلك ما حصل لها في مطلع شبابها، فيذكر الراوي أنها نامت لثلاث ليال متواصلة لتستيقظ بعدها وهي تقرأ وتكتب بالعربية من دون معلم، ولم يكن أحد من أهلها يعرف

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

القراءة والكتابة. أما عجائبية (**بركة**) فقد تمثلت في عودته من الموت ومصاحبته للجن، وقد كان هذا الحادث سببا في تحوله إلى بصّار (عرّاف)، يجالس النساء ويدخل بيوتهن في أي وقت.

وما يهمنا هنا هو التباس هويتهما الجندرية، فقد كانت نازارة تقوم بدور الرجل في الحفاظ على الهوية الكردية في مجتمعهم الصغير (الدهانة) في بغداد، إذ كانت بمثابة الأب الكبير لذلك المجتمع الصغير، وتتمتع بسلطة الأمر والنهي وإنفاذ الكلمة: "**كان حزمها وقوتها مبعث إكبار وإجلال، فلم يكن أحد ليتجرأ على رد كلمتها أو التعاطي معها إذا ما أصدرت أمرا، بمن في ذلك رجالات مجتمعهم الكردي المصغر بين درابين بغداد**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٤٧)، كما كانت تفتح بيتها الكبير أمام المحتاجين الأكراد الذين لا سند لهم والقادمين إلى بغداد، في إشارة إلى تأكيد أبوّيتها لجميع الأكراد الفيليين. أما في حياتها الخاصة وشبابها وزواجها، فيذكر الراوي أن زوجها: "**كان ظلا لها، مغمورا بشعاعها الساطع، فلم يكن يُرى أو يُحس وقد غادر الدنيا سريعا ما أن انتهت مهمته بجعلها أما لستة رجال سيملؤون فراغه الذكوري الذي لن يكون موحشا تماما. أما مسألة إنجابها لستة ذكور دفعة واحدة فقد كانت تلك الأخرى مبعث إعجاب الناس وانبهارهم لأنهم ظنوا أن لها القدرة على التحكم في جنس الجنين الذي في بطنها**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٤٨). وواضح أن النص يحفل بفحولة نازارة حتى في مسألة الإنجاب، إذ يسند إليها دور الفاعل الحقيقي في اختيار جنس المولود، ويحتفي بها بدلا من الاحتفاء بالأب كما هي العادة في إنجاب الذكور في الثقافة المجتمعية السائدة.

أما (بركة) فقد تمثلت هويته الجندرية في مظهره الخارجي، وسلوكه الاجتماعي، ما أثار التباسا في هويته، ففي مظهره الخارجي كان يرتدي عباءة امرأة فوق دشداشته السوداء ومحجب الرأس، وفارع الطول، وما زاد التباسا في هويته وجود (شاربين كثّين) ملتصقين بوجهه بحسب تعبير الراوي (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٢٠). ويبدو أن وجود هذا المظهر المتناقض كان ضروريا لتأسيس عجائبيته، والنهوض بدور المتنبئ في الرواية، ويبدو أن نبوءته بعد أحداث مقتل الزعيم عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣ كانت تؤسس لأحداث الرواية المستقبلية، يقول (بركة): "**إذا كنتم تريدون نبوءة فخذوا هذه، هذا البلد لن يعيش بسلام بعد اليوم وسيصل غبار خرابه إلى السماء، أما أنتم بالذات [الكرد الفيليين] فسيضعكم تحت أضراسه فخذوا حذركم**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٩٢). وقد تضافر مع المظهر الخارجي في التباس هويته سلوكُه وتصرفاتُه، إذ كان يتمايل بغنج ويختلط مع نساء المنطقة حتى أن كثرة اختلاطه مع النساء لم تكن لتثير أحدا، وقد وصف من لدن الراوي في أكثر من

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

موضع، وعلى لسان الشخصيان بأنه (خنثى)، وبأنه (نصف رجل ونصف أنثى) (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٤٢، ٤٣، ٢٢١، ٢٢٦).

والرواية بعد ذلك ترسم للنساء الكرديات الفيليات على نحو التعميم صورة ذكورية، وهي صورة يرسمها الراوي العليم، ولا تنتسب إلى منظور أي شخصية من شخصيات الرواية، من قبيل تعميمه وحكمه على الرجال والنساء الكرد البغداديين، بقوله: "**لم يُعرفوا بالأبوية المفرطة أو المزاج الذكوري الحاد كما هو الحال مع غيرهم في المجتمعات التي ترسخ وتسوغ للسلطة الذكورية المطلقة، بل إن المحافظ الأساسي لهذه البطرياركية كانت النساء أنفسهن**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ١١٩)، أو من قبيل حكمه على النساء الكرديات جميعهن – بعد حديثه عن بنات (**ملة غلام علي**)– بالبرود وقلة الخبرة الجنسية، وعدّ الجنس من أعباء الحياة الزوجية التي لا مفر منها (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ١١٧).

واستكمالا للهوية الجندرية، فقد حفلت الرواية ببعض الشخصيات الأنثوية التي كانت تأخذ دور (الشقاوات) في منطقة الميدان، إذ إنها حملت ألقابا كانت ملاصقة لأسمائهن، من قبيل (**سليمة سِلاّية، وبهيجة زنبور**) اللاتي كُن يعملن مومسات؛ ويبدو أن سبب التباس هويتهن الجندرية أنها كانت ردة فعل تجاه الرجل واستلابه لأجسادهن، وطبيعة المهنة التي تحتم الظهور بمظهر القوي للحفاظ على وجودهن، على الرغم مما يسببه هذا المظهر من تناقض مع ما يجب أن يتوافر في المومس من صورة أنثوية (النداوي، ٢٠٢٢، الصفحات ٦٠– ٦١). وقد كن يشكلن مهابة وخوفا لدى (**ماملي**) الذي كان يتردد كثيرا على هذه المنطقة، إذ "النساء الذكوريات يستثرن الخوف في الرجال لأنهن لا يطابقن معيار المغايرة الجنسية للنساء " (رايان، ٢٠١٦، صفحة ٨٦).

الآخر ورهانات الهوية:

إن الآخر في أشهر معانيه يعني المغايرة، وعن طريقه يتم تحديد الاختلاف وتشكيل الهوية. أما الخطاب المنتج بصدده فقد ينطوي على معنى الضدية والتقليل من قيمة الآخر في سبيل إعلاء قيمة الذات والهوية، وغالبا ما يشيع هذا المعنى في الثقافات المتقابلة، والخطابات الاستعمارية (البازعي، ٢٠٠٢، صفحة ٢٣)، وقد يكون الخطاب عن الآخر يتضمن معنى المغايرة من دون معنى الضد أو التقليل من شأنه، بل يأتي في سبيل تحديد هوية الذات، وغالبا ما يشيع هذا المعنى في التعددية الثقافية التي تسعى إلى الاحتفاء بالاختلاف (باركر، ٢٠١٨، صفحة ١٢١).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

وترتهن الهوية بالآخر فهو الذي يحددها – كما تقدم– من ضمن إطار المغايرة، وقد يحصل ويحاول الانسان مغادرة هويته باتجاه الآخر، وحينئذ نجد أن الانتماءات المهمة التي تتعلق باللغة ولون البشرة والجنسية والطبقة الاجتماعية أو الدين ليست دائما هي المهمة، بل المهم هو الانتماء الذي يحقق الذات (معلوف، ٢٠١١، صفحة ٢٥)، وقد تعمل (العلاقات الغرامية) على تحقيق الذات، وعلى خلق هوية جديدة بينَ العاشقينِ، "كما لو أن كلاً منهما يجد أخيرا هويته الخاصة" (دوبار، ٢٠٠٨، صفحة ١٥٠). وقد حفل نص رواية (**قسمت**) على (علاقات غرامية) سببت أزمة في الهوية لدى الشخصيات الأنثوية؛ ربما لأنها أكثر عاطفة وأكثر تضحية في سبيل الآخر (الحبيب)، وهذا ما تمثل في شخصية (**سندس**) في علاقتها الغرامية مع الكردي الفيلي (**سالار**)، الذي يمثل الآخر بمعنى الضد والثقافة المتقابلة، فقد كانت سندس من عائلة سنية تنتمي لحزب البعث وهي أرملة طيار حربي، في حين كان سالار شيعيا كرديا فيليا: "

- شجابج عليّه؟

- آني تكريتية، يعني الطفل عدنا بدل القماط الأبيض نلفّه بقماط زيتوني.

- ها! أهلا وسهلا بيج رفيقتي التكريتية. تدرين بيه آني كردي مو؟

- اسمك سالار يعني شتطلع؟ أكيد كاكه كردي.

قلتُ متعمدا لفظ الحروف بنبرة بطيئة:

- تدرين بيّه كردي فيلي؟

فغرتْ فاها وهي تضحك متفاجئة، رافعة حاجبيها باستنكار:

- يعني إيراني مجوسي! عدوّنا اللدود. خبرني بالله شعجب بعدك هنا؟ شعجب ما سفروك؟"

(النداوي، ٢٠٢٢، الصفحات ١٩٨– ١٩٩).

واقتباس هذا الحوار الطويل الذي ينقله (سالار) كان ضروريا؛ إذ يوضح المقابلة الضدية التامة بينهما، كما أنه يوضح ثبات هوية كل منهما قبل أن تتجه بعد ذلك إلى الالتباس فيما يتعلق بسندس، فقد كانت تشعر أن انتماءها يذكّر سالار دائما بما حصل لهم، أي (الكرد الفيليين) من ظلم وتهجير ومصادرة أموال بحجة التبعيّة، لذلك نجدها تغيّر وجهة نظرها نحوهم وتتعاطف معهم، بل تكون لها آراء مخالفة للجهة التي تنتمي إليها: "**آني ضد الظلم والتعسف. ضد نفني شبابنا وحياتنا بحروب مثل هاي اللي مدا تخلص**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٠٠)، ونجدها تغيّر من نبرة استعلائها، وتنزاح قليلا عن هويتها التي تنتمي إليها نحو منطقة ملتبسة بين هويتها الأصل وهوية حبيبيها،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

فتعلن عدم مسؤوليتها عن اختيار هويتها وتتنصل عن أفعال الجهة التي تنتمي إليها، بل تدينها أيضا بسبب فقدان زوجها في الحرب: "**آني ما اختاريت أكون من جهة معينة. ولدت بين هذولة الناس اللي ما يعجبوك لأن آذوا أهلك. بس تره مو آني اللي أذّيت أهلك (...) أحب أذكرك آني وحدة من اللي تأذوا وفقدوا ناسهم بهاي الحرب الحقيرة. ترملت وعمري عشرين سنة**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٠٠).

إن انزياح هوية سندس كان بفعل علاقتها مع سالار، فهو الذي غيّر من قناعاتها، واستطاع التلاعب بمشاعرها وتحريك موقعها الثابت. أما فيما يتعلق بسالار فقد كان شعور الانتماء بهويته قويا جدا، أقوى من علاقته الغرامية، لذلك لم يمنع زواجه من سندس سوى هويتها التي تنتمي إليها، **(اسرتها البعثية الملونة بظلال مختلفة من اللون الزيتوني)**، بحسب تعبيره، وهو السبب ذاته الذي جعله ينفصل عنها، بعد أن دخل في علاقة غرامية/ انتقامية معها، وربما حقق انتصارا جسديا على طائفة متسلطة، وفحولة جنسية تجاه الآخر الضد، على طريقة الشخصية (مصطفى سعيد) في رواية (موسم الهجرة إلى الشمال) للروائي الطيب صالح، التي تطرقت إلى علاقة الذات بالآخر المستعمِر (صالح، ١٩٨٧).

ونجد في نص رواية **(قسمت)** التباسا آخر في الهوية الأنثوية، بسبب العلاقة الغرامية، وهو التباس لا يتعلق بالهوية القومية مثلما تقدم، وإنما له علاقة بالهوية الثقافية، بتغيير عادات وسلوكيات بعيدة عن طبيعة الشخصية، لكنها تحاول أن تلتزم بها من اجل (الحبيب)، وهو ما تمثل بشخصية **(بانو)** وعلاقتها مع **(أكرم)** التي تحاول أن تظهر بمظهر (المثقّفة) تقرّبا منه. يصف أكرم شخصية بانو على نحو الانتقاد: "**تحب بانو مؤلفاته وأفكاره [علي شريعتي] حباً ترفيا فيه الكثير من الرغبة بالتمنظر الثقافي ورشّة خفيفة تحاول إضفاءها من بهاء معرفي لم يكونا مناسبين لشخصيتها ذات البعد الواحد**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٤١). وهو وصف وإن كان فيه شيء من النقد لمثل هذه التصرفات لكن فيه شيئا من التباس الهوية الثقافية، إذ فيه تغيّر في السلوكيات، وتمظهر على غير طبيعة الذات، وتحرّك من موقع الهوية نحو هوية الحبيب الثقافية. ويبدو أن هويتها الثقافية كانت تتأرجح بين طبيعتها (سجيتها) والافتعال الذي تلتزمه لأجل الآخر الضد (أكرم)، إذ كانت مرة تتلبس بالهوية الثقافية، ومرة أخرى تتخلى عنها عندما تكون على طبيعتها: "**تخلت عن دورها الثقافي المدّعى عن طيب خاطر مع تخليها عن اول قطعة من ثيابها، ثم تجردت منه تماما بعد أول ممارسة عنيفة للجنس**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٤٢).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

التباس الهوية بين الحضور والغياب:

التباس الهوية هنا لا يتعلق بالهوية الجندرية، أو يتعلق بمرتهنات الآخر، وإنما يتعلق بالحضور والغياب، وغالبا ما تلتبس الهوية عندما يتعلق الأمر بالغرابة حيث "الجمع بين الحياة والموت في حالة واحدة" (الحميد، ٢٠١٢، صفحة ٦١). وهذا ما نجده في شخصية (**قِسمت**) التي كانت حاضرة وغائبة في نفس الوقت، فبعد أن انتحرت غرقا مع طفليها، (وكانت حاملا أيضا) في نهر دجلة وغادرت الحياة لشعورها الرهيب بالغربة والضياع، نجد شبحها ملازما لأفراد عائلتها على طول الرواية، يظهر لهم بين الحين والآخر، وفي مختلف الأمكنة، في العراق وفي إيران بعد تسفيرهم هناك.

أول ظهور لـ (قسمت) كان في بيت أهلها بعد أيام من انتحارها، حيث ظهرت فجأة لأختها الصغيرة (**برّي**): "**أحست فجأة بيد امرأة تربت عليها ثم تأخذ منها الفوطة بلطف وتلف بها غطاء القدر ثم تثبته فوقه وتوطيء من قوة النار، فتنبهت لثوبها لم يكن أسود كبقية النسوة في البيت، رفعت رأسها لتتبين المرأة التي كانت تبتعد وعلى وشك أن تخرج من المطبخ، فكانت أختها الميتة قسمت**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٢٢). ويبدو من النص أن قسمت قد ظهرت هنا بتشكلها المادي الذي يشغل حيّزا وله أبعاد واضحة، كما أنها ظهرت وهي تؤثر في أشياء المطبخ وكأنها على قيد الحياة، وفي بعض الأحيان ظهرت على شكل شبح يلمحه أفراد العائلة في أمكنة متعددة، ما يعني أن التباس هويتها لم يتوقف عند مستوى الحضور والغياب وإنما على مستوى التجسيم والتجرد أيضا. لقد رافقت قسمت أفراد عائلتها حتى في مخيمات الأكراد الفيليين المسفّرين على الحدود العراقية الإيرانية: "**انتابتني رعدة قوية لشدة وضوح شبحها ما أن رأيتها واقفة عند ثاني خيمة مرتكزة بأطراف أصابعها على الحبال (...) قلتُ لها دون تفكير:**

- **ميمي [خالتي] أرجوكِ. أود العودة إلى العراق. أرجوكِ ساعديني. ساعدينا جميعا.**

نظرتْ إليّ نظرة فيها عتاب ممزوج بحزن ثم انتقلت ببصرها إلى الخيمة حيث تنام أسرتي. تبعتُ نظرتها وحين عدتُ ألتفتُ إليها لم أجدها" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ١٣٩). ويبدو واضحا التباس هوية قسمت، إذ مثّلت "المساحة الثالثة التي بين الحضور والغياب، الحياة والموت... وهذه الحدود مبهمة، غير محددة، لا تنتمي إلى أحد الأطراف من دون الطرف الآخر... إنها منطقة الشك والغموض والالتباس" (الحميد، ٢٠١٢، صفحة ٨٠). وقد تم تفسير عودتها مرة أخرى إلى الحياة بتفسيرات متعددة من لدن شخصيات الرواية، فقد كانت (**بدرية**) أم قسمت ترى أن عودتها تمثل لطفا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

من الله بها إذ لم تكن تستطيع فراق ابنتها، وقد كانت فرحة جدا بعودتها إلى الدار **(ولو على شكل شبح)**، أما **(سالار)** ابن اخت قسمت فكان يرى أن طريقة موتها المؤلمة كانت سببا في عودتها بهذا الشكل، في حين وجدت **(قَيَم)** عمّة قسمت في عودتها نذير شؤم سيحل على الأكراد الفيليين بصورة عامة: "**كيف لا أقلق من روحها؟ ألم ترَ ما حلّ بجيراننا اليهود الذين ساكنوا أرواح موتاهم. ألا تذكر كيف عُذبوا وفُرهدوا ثم شُردوا وهُجروا. وأينما حلوا حلّ بهم الخراب**" (النداوي، ٢٠٢٢، صفحة ٤٥).

وفي الحقيقة لقد مثلت قِسمت – التي حمل عنوان الرواية اسمها – رمزا للكرد الفيليين، فقد كانت رمزا لغربتهم وضياعهم وشتات هويتهم ومصيرهم أيضا، ولم يكن ظهورها المتكرر والملازم لأفراد عائلتها جيلا بعد جيل سوى تذكيرا لهم بمصيرهم الغامض والملتبس، لاسيما إذا تم النظر إلى موت أطفالها الثلاث معها (الطفل والرضيع والجنين) على أنه يمثل ماضي الأكراد وحاضرهم ومستقبلهم.

الخاتمة:

نستطيع في الخاتمة أن نجمل النتائج التي توصل إليها البحث، وهي:

١- لقد شكّل سؤال الهوية في الرواية المحور الرئيس فيها، فقد عانت شخصيات الرواية جميعها بصورة عامة من تشتت الهوية، فقد كانت علاقة الكرد الفيليين مع الآخر (في العراق وإيران) موضع التباس، وهو ما انعكس على الشخصيات الأنثوية أيضا، فقد عانت هي الأخرى من سياسة البلدين فكانت تشترك مع باقي الشخصيات في هذا التشتت الهوياتي.

٢- بالإضافة إلى التشتت العام في الهوية نجد أن الشخصيات الأنثوية في الرواية قد عانت من التباس الهوية على نحو خاص، بعيدا عن العامل السياسي، إذ تمثل هذا الالتباس في علاقتها مع الآخر (الرجل/ المجتمع)، فأظهرت قلقلا تجاه الهوية تمثل في أدوارها في المجتمع (الجندر)، وعلاقتها بالآخر (الحبيب) وارتهان هويتها به، وتشتت الهوية بين الحضور والغياب.

٣- على نحو الهوية الجندرية تمثل ذلك في شخصية (نازارة) المرأة الكردية التي غادرت دور المرأة، وصارت تأخذ دور الرجل في المجتمع فكانت هويتها موضع التباس من لدن شخصيات الرواية، في حين نجد شخصية (بركة) على العكس تماما فقد أخذ هذا الرجل دور المرأة، فكانت شخصيته موضع إلتباس أيضا.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

٤- إشكالية الهوية الأنثوية على مستوى العلاقة بالآخر (الحبيب) تمثل في شخصيتي (سندس وبانو) اللتين تأثرت هويتهما بسبب علاقتهما بالآخر الذي يمثل الهوية الضد، فكان أن تزحزحت هويتها التي كان مستقرة نحو اللا استقرار بسبب كل من (سالار) و(أكرم).

٥- إشكالية الهوية فيما يتعلق بالتباسها بين الحضور والغياب كان يتمثل بـ (قسمت)، التي غادرت الحياة منتحرة في نهر دجلة مع أطفالها بعد شعور رهيب بالغربة والضياع، لكنها بقيت تظهر لأفراد عائلتها بين الحين والآخر متجسدة أو على هيئة شبح، ما يعني تلبس هويتها وتموقعها في منطقة الحضور والغياب.

المصادر

١.باركر، كريس. (٢٠١٨). معجم الدراسات الثقافية (المجلد الأولى). (جمال بلقاسم، المترجمون) القاهرة: دار رؤية للنشر والتوزيع.

٢.بلعابد، عبد الحق. (٢٠١٤). فلسفة السرد عند بول ريكور. لبنان: منشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، دار الأمان.

٣.بوزة، سعيدة بن بوزة. (٢٠١٦). الهوية والاختلاف في الرواية النسوية في المغرب العربي. دمشق: دار نينوى.

٤.الحميد، شاكر عبد الحميد. (٢٠١٢). الغرابة، المفهوم وتجلياته في الأدب. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة.

٥.الخليل، سمير. (٢٠١٦). دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة (اط ١). بيروت: دار الكتب العلمية.

٦.دوبار، كلود. (٢٠٠٨). أزمة الهويات، تفسير التحوّل (ط١). (رندة بعث، المترجمون) بيروت: المكتبة الشرقية.

٧.رايان، مايكل. (٢٠١٦). الدراسات الثقافية، مدخل تطبيقي (ط١). (خالد سهر، المترجمون) بغداد: دار بغداد.

٨.رحيم، سعد محمد. (٢٠١٤). موقع الهوية (السلطة، الجسد، المكان، العنف) (ط١). بغداد: دار ميزوبوتاميا.

٩.سبيلا، محمد. (٢٠٠٩). مدارات الحداثة. بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

١٠.سيدجويك، أندرو إدجار و بيتر سيدجويك. (٢٠١٤). موسوعة االنظرية الثقافية والمصطلحات الأساسية، (ط٢). (هناء الجوهري، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.

١١.صالح، الطيب (١٩٨٧). موسم الهجرة إلى الشمال، (ط١٤). بيروت: دار العودة.

١٢.عماد، عبد الغني. (٢٠١٩). سوسيولوجيا الهوية، جدليات الوعي والتفككوإعادة البناء (ط٢). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٣.العمر، معن خليل. (٢٠١٥). علم اجتماع الجندر (ط١). الأردن: دار الشرق.

١٤.معلوف، أمين (٢٠١١). الهويات القاتلة، (ط٢). (نهلة بيضون، المترجمون) بيروت: دار الفارابي.

١٥.ميجان الرويلي، سعد البازعي. (٢٠٠٢). دليل الناقد الأدبي (ط٣). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
١٦.النداوي، حوراء. (٢٠٢٢). قسمت (ط٢). بغداد: دار الرافدين.
١٧.هاتو، ماجدة. (٢٠١٣). الراوية العربية ما بعد الحداثية، تقويض المركز، الجسد، تحطيم السرديات الكبرى (ا ط١). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
١٨.يقطين، سعيد. (١٩٩٧). قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية (ط١). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
19. Parker, Chris. (2018). Dictionary of Cultural Studies (Volume One). (Jamal Belkacem, The Translators) Cairo: Dar Roya for Publishing and Distribution.
20. Belabed, Abdel Haq. (2014). Narrative philosophy according to Paul Ricoeur. Lebanon: Difaf Publications, Al-Kifaf Publications, Dar Al-Aman.
21. Bouza, Saida bin Bouza. (2016). Identity and difference in the feminist novel in the Arab Maghreb. Damascus: Nineveh House.
22. Al-Hamid, Shaker Abdel Hamid. (2012). Strangeness, the concept and its manifestations in literature. Kuwait: National Council for Culture, Arts and Literature, World of Knowledge.
23. Al-Khalil, Samir. (2016). A guide to terminology for cultural studies and cultural criticism, a documentary illumination of the cultural concepts in circulation (1st edition). Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
24. Dubar, Claude. (2008). The Crisis of Identities, Interpreting Transformation (1st ed.). (Randa Baath, The Translators) Beirut: Oriental Library.
25. Ryan, Michael. (2016). Cultural studies, an applied introduction (1st edition). (Khaled Sahar, The Translators) Baghdad: Dar Baghdad.
26. Rahim, Saad Muhammad. (2014). Location of identity (power, body, place, violence) (1st ed.). Baghdad: Dar Mesopotamia.
27. Sabila, Muhammad. (2009). Orbits of modernity. Beirut: Arab Network for Research and Publishing.
28. Sidgwick, Andrew Edgar and Peter Sidgwick. (2014). Encyclopedia of Cultural Theory and Basic Terms, (2nd ed.). (Hanaa El Gohary, The Translators) Cairo: National Center for Translation.
29. Saleh, Al-Tayeb (1987). Season of Migration to the North, (14th ed.). Beirut: Dar Al Awda.
30. Imad, Abdul Ghani. (2019). Sociology of identity, dialectics of consciousness, disintegration and reconstruction (2nd ed.). Beirut: Center for Arab Unity Studies.
31. Al-Omar, Maan Khalil. (2015). Sociology of Gender (1st ed.). Jordan: Dar Al-Sharq.
32. Maalouf, Amin (2011). Deadly Identities, (2nd ed.). (Nahla Baydoun, the translators) Beirut: Dar Al-Farabi.

33. Megan Al-Ruwaili, Saad Al-Bazai. (2002). The Literary Critic's Guide (3rd ed.). Casablanca: Arab Cultural Center.
34. Al-Nadawi, Hawraa. (2022). Kismet (2nd edition). Baghdad: Dar Al-Rafidain.
35. Hato, Magda. (2013). The postmodern Arab storyteller, undermining the center, the body, and destroying grand narratives (1st ed.). Baghdad: House of General Cultural Affairs.
36. Yaktine, Said. (1997). The narrator said, Narrative Structures in Popular Biography (1st ed.). Casablanca: Arab Cultural Center.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ